الشعر

عودٌ على ما سبق

تقدم لنا في الجزء الاول من هذه السنة كلامٌ في حد الشعر وبيان الخصائص التي يمتاز بها عن النثر على قدر ما أدَّى اليهِ البحث واعانت عليهِ البصيرة . وتقريراً لما ذكرناهُ هنالك نقول ان النثر هو القالب الطبيعي للكلام الموضوع للابانة عن المعاني التي تمثل في النفس يتخاطب بهِ العالم والجاهل والذكيّ والبليد والكاتب والأُميّ فوجب ان يكون بحيث تتفاهمهُ هذه الطبقات كلها ويعبر بهِ عن المقاصد بأبين الصور واوضحها وذلك يقضي ولا جرَم بان يُستعمل لكل معنًى اللفظ الموضوع لهُ بحيث يُنتقل من اللفظ الى المعنى من غير واسطة . وبخلافهِ الشعر فانهُ من الكلام الذي يُقصد بهِ ما ورآء مدلول اللفظ من مناغاة النفس ومناجاة الوجدان فتُورَّى فيهِ المقاصد تحت الصور الخيالية وتُبرَز المعاني تحت ثوبٍ من المجاز او الكناية ونحوهما ولذلك اختصَّ بمخاطبات البلغآء وطبقات الكتّاب والمتأدبين ونُحي فيهِ منحى البلاغة في المعنى والتأنق في الالفاظ والاساليب وأُكثر فيهِ من التفنن بالانواع البديعية مما يجمع بعض اطراف المعنى الى بعض بما يربطها من تناسبٍ او تضادّ او غير ذلك بحيث تتألف منهُ صورٌ كاملة على حدّ ما يفعل المصور في تصوير الاشباح والمغني في تأليف النغم . والمقصود من كل ذلك الاستيلآء على قوى النفس وإلباس المعاني المتأدية اليها من طريق الحسّ او العقل ثوباً من الخياليات بعد تلوينهِ باللون الذي يريدهُ

الشاعر تبعاً لغرضهِ

والاغراض الشعرية ترجع في الغالب الى مقصدين احدهما تجسيم المعاني والمبالغة في اظهارها وتمثيلها مما تكون بهِ اشدّ انطباعاً في النفس واثبت اثراً في المدركة على ما تقدمت الاشارة اليهِ . والثاني التأثير في النفس بحدثٍ من الاحداث كالسرور والانقباض والاستئناس والاستيحاش والحب والبغض والخوف والرجآء وغير ذلك . ومن هذا الثاني اخذ المناطقة مايسمونهُ بالقياس الشعريّ وهو عندهم كل ما اثر في النفس بسطاً او قبضاً وذلك كما اذا وصفت الخمر فقلت هي ياقوتةٌ سيالة فان النفس تنبسط اليها وتجد لها ارتياحاً وسروراً وكما اذا وصفت العسل فقلت هو مِرّةٌ مهوّعة (١) فان النفس تنقبض عنهُ وتجد منهُ اشمئزازاً ونفوراً . وقد افصح عن هذا المعنى قول الشاعر

الشعر نارٌ بلا دخانٍ ... وللقوافي رُقًى لطيفه
كم من ثقيل المحلّ سامٍ ... هوت بهِ احرفٌ خفيفه
لو هُجي المسك وهو اهلٌ ... لكل مدحٍ لصار جيفه

واياهُ اراد الآخر في قولهِ

في زخرف القول تزيينٌ لباطلهِ ... والحق قد يعتريهِ سوء تعبيرِ
تقول هذا مُجاج النحل تمدحهُ ... وان ذممتَ تقل قيء الزنابيرِ
مدحٌ وذمٌّ وما غيرتَ من صفةٍ ... حسن البيان يُري الظلماء كالنورِ

وبيّنٌ ان هذا الذي ذكرناهُ من تأثير الشعر غير خاصٍّ بالكلام المنظوم ولكن كل ما تضمن شيئاً من الاغراض المذكورة وأثر في النفس تأثيرها

(١) المراد بالمرة الخلط المعروف بالصفرآء والمهوّعة المستفرِغة بالقيء

عُدَّ شعراً . وقد قدمنا ان غالب شعر الاقدمين لم يكن على وزنٍ ولا قافية وانما كان الشعر عندهم يمتاز عن النثر بشرف معانيهِ وجزالة الفاظهِ ونوع اسلوبهِ . على ان عندنا من الصيغ النثرية ما يُجزئ عن الشعر وهو هذا السجع المفصَّل بما يشبه قوافي الشعر فان رنة الفاصلة يكون لها نفس تأثير القافية فلا يبقى ثمة فرقٌ الا بالوزن ولذلك ترى لغة السجع على الغالب تشبه لغة الشعر من حيث التأنق في الالفاظ والتراكيب والاغراب في المعاني وتوخي الصور المجازية وغيرها مما تقدم ذكرهُ . على ان السجع لا يعدم شبهاً من الوزن ونعني بهِ مراعاة طول القرائن بحيث تكون كل قرينتين متساويتين او قريبتين من التساوي فان ذلك من المستحسنات في السجع بل قد يعلب عكسهُ اذا كان التفاوت بين الفقرتين كثيراً . وهناك نوعٌ آخر من السجع بُني على التوقيع وقُسّم الى اجزآء عروضيةٍ قصيرة وان لم يكن لهُ وزنٌ مخصوص فكان لهُ من الشبَه بالموسيقى ما يقرب من شبَه الشعر . ولم نرَ من هذا النوع الا البنود الخمسة التي رصفها ابن معتوق وقد أُلحقت بآخر ديوانهِ نورد منها قولهُ في البند الاول

ايها الراقدُ في الظلمة نبّه طرْف الفكرة من رقدة الغفلة وانظر اثر القدرة واجلُ غلَس الحيرة في فجر سنى الخبرة وأرُن الى الفلك الاطلس والعرش وما فيهِ من النقش وهذا الأُفُق الادكن في ذا الصنع المتقن والسبع السماوات في ذلك آيات ، هدًى تكشف عن صحة اثبات ، الهٍ كشفت قدرتهُ عن غُرَر الصبح وأرخت طرَر النُجح فغدا يغسل من مبسمهِ الاشنب في مضمضتَيْ نور سناهُ لعَس الغيهب واستبدلت

الظلمةُ من عنبرها الاسود بالاشهب   واعتاضت من مفرقها الحالك بالاشيب
وهكذا الى آخر البنود وهو فنٌّ لطيف

واكثر ما تجد السجع الشعريّ في الخُطَب لما تدعو اليهِ من التفنن في المعاني والاشتقاق في الاغراض وتصوير الموصوفات والحوادث بما يميل بالسامع الى غرض الخطيب ويستدرجهُ الى هواهُ . ومن اظهر امثلتهِ الخطب المتضمنة لنوع من انواع المناظرة لما يكون هناك من معترك البلاغة وتصادم الحجج وتهالك كلٍّ من المتناظرين على ادراك الفَلَج فيلوّن كلامهُ بكل صبغةٍ من المجاز ويصوّرهُ بكل صورةٍ من الخيال . وانظر في ذلك مناظرة السيف والقلم للشيخ جمال الدين بن نباتة فانهُ ابدع فيها كل الابداع واودعها من المعاني المتخيَّلة والاختراعات الغريبة ما يقصّر عنهُ كثيرٌ من الشعر المنظوم وما لو نُظِم لجاَء من اعلى طبقات الشعر ولولا انها طويلةٌ لسردناها في هذا الموضع وهي مذكورة في خزانة الادب لابن حجة الحموي في الكلام على نوع التغاير فلتراجع هناك . وترى نموذجاً من هذا في البيان فيما صدَّرنا بهِ مقالة القمر وما جاَء في صدر ترجمة المرحوم السيد جمال الدين الافغاني وخاتمتها ومثل ذلك ما جاَء في وصف الزُهَرة ومصير الارض في مجلد السنة الاولى من الضياَء بما تراهُ في اماكنهِ . وقد اتفق لبعض شعراَئنا المجيدين نظم شيء من المقالات المذكورة لما وجدوا فيها من شبه الشعر فنظم المرحوم المأسوف عليهِ نجيب الحداد ما جاَء من ذلك في مقالة القمر وزاد عليهِ في قصيدةٍ بديعة نشرت في البيان . وانشدنا مرةً حضرة الفاضل الالمعي مصطفى بك نجيب وكيل ادارة الداخلية في الحكومة المصرية

ابياتاً المّ فيها ببعض ما ورد في صدر ترجمة السيد جمال الدين وكان يوماً يقرأ هذه الترجمة فمرَّ بهِ ما لم يتمالك عن افراغهِ في قالب النظم وقد علق بالمحفوظ شيء من تلك الابيات نستأذنهُ في ايرادهِ هنا قال حفظهُ الله

نعت النعاة يتيمة الدهرِ وخُلاصة الاحساب والفخرِ
امسى جمال الدين في جدثٍ ضمَّ العلآء ورفعة القدرِ
ليت المنية اخطأت رجلاً همدت بهِ نارٌ من الفكرِ
وعزيمةٌ لا تنتهي صعُداً حتى تفوت معارج النسرِ
« دبّت على مجرى فصاحتهِ وأتتهُ بين الفك والنحرِ »
« عجبٌ لما فعلت ولا عجبٌ ان يسكن السرطان في البحرِ »

ومن هذا القبيل ما نقلهُ في خزانة الادب من نظم ابن ابي الاصبع لاحدى خُطب الامام عليّ في مدح الدنيا والرّد على من ذمها ولا بأس ان نروي هنا الخطبة والنظم جميعاً لقصرهما قال الامام (رضه)

ايها الذامّ للدنيا المغترّ بغرورها المخدوع بأباطيلها أتغترّ بالدنيا ثم تذمها أأنت المتجرم عليها ام هي المتجرمة عليك . متى استهوتك ام متى غرتك ابمصارع آبائك من البلى ام بمضاجع امهاتك تحت الثرى . . قد مثلت لك بهم الدنيا نفسك وخيلت لك بمصرعهم مصرعك ان الدنيا دار صدقٍ لمن صدقها ودار عافيةٍ لمن فهم عنها ودار غنًى لمن تزود منها ودار موعظةٍ لمن اتعظ بها . مسجد احباء الله ومصلّى ملائكة الله ومهبط وحي الله ومتجر اولياء الله اكتسبوا فيها الرحمة وربحوا فيها الجنة فمن ذا يذمها وقد آذنت ببينها ونادت بفراقها ونعت نفسها واهلها فمثلت لهم ببلاها البلى

وشوقتهم بسرورها الى السرور . راحت بعافيةٍ وابتكرت بفجيعة ترغيباً وترهيباً فذمها رجالٌ غداة الندامة وحمدها آخرون يوم القيامة ذكّرتهم الدنيا فتذكروا وحدّثتهم فصدّقوا ووعظتهم فاتعظوا . وهذه صورة النظم

من يذمّ الدنيا بظلمٍ فاني　بطريق الانصاف أُثني عليها
نصحتنا فلم نرَ النصح نصحاً　حين ابدت لاهلها ما لديها
اعلمتنا ان المآل يقيناً　للبلى حين جدّدت عصريها
كم ارتنا مصارع الاهل والاحباب لو نستفيق يوماً اليها
يومُ بؤسٍ لها ويوم رخآء　فتزوّدْ ما شئت من يوميها
وتيقن زوال ذاك وهذا　تسلُ عما تراهُ من حادثيها
دارُ زادٍ لمن تزوّد منها　وغرورٍ لمن يميل اليها
مهبط الوحي والمصلّى الذي كم　عفّرت صورةٌ بهِ خديها
متجر الاوليآء قد ربحوا الجنّة منها　وأُوردوا عينيها
رغّبت ثم رهّبت ليرى كل لبيبٍ عقباهُ في حالتيها
واذا أُنصفتْ تعين ان يثني عليها ذو البرّ من ولديها

(ستأتي البقية)

القهوة والقات

لحضرة الفاضل قاضي زاده احمد افندي رئيس الجمعية الاسلامية بالترنسوال

اطلعت على الرسالة التي نشرتموها في ضيآئكم الزاهر بعنوان عمدة الصفوة في حلِ القهوة ولما كان كلٌّ من البنّ والقات الوارد ذكرهُ في الرسالة

من نبات بلادي احببت ان اذكر لكم شيئاً عنهما تفكهةً للقرّآء فاقول

في اليمن من البنّ ثلاثة اصناف الصنف الاول يسميهِ اهل اليمن بالبُرَعيّ وهذا الصنف قشرهُ حلوٌ جدًّا مثل الزبيب وحجمهُ صغير ويحمل شتآءً وصيفاً لا ينقطع لكنهُ قليل الحمل وفي الغالب يكون في جوف القشرة حبةٌ واحدة. والصنف الثاني العُدَيني نسبة الى بلدةٍ تسمى العُدَين تابعة للوآء تَعِزّ وهذا الصنف يحمل مرةً في السنة وحجمهُ كبير ويثمر كثيراً حتى ان الشجرة تنكسر من كثرة الحمل وارباب البساتين يدعمون الشجر بالخشب . والثالث الحرازي نسبةً الى حراز وحجم حبهِ كبير واكثرهُ يكون في باطن القشرة منهُ ثلاث حبات مثلثة الشكل لكن يتسلط على هذه الشجرة الدود فيتناثر قبل الجنى ولا يسلم من الدود الا القليل. والبنّ لا يثمر الا في السنة السابعة ولا يصلح الا تحت اشجار كبيرة تظللهُ لانهُ لا يطيق حر الشمس واذا جُرحت الشجرة ماتت لوقتها . والبزر يُطلى قبل زرعهِ بالرماد والا فسد ولم يخرج من الارض وهو ينبت شبه شجرة القطن بلا فرق

وقد رأيت في القهوة عدة منظومات لاهل اليمن خصوصاً علمآء زبيد لم يبقَ في محفوظي منها الا ابياتٌ اورويها لكم فمنها قول بعضهم

هِمْ بابنة البُنّ فقد ودَّها للطفها ربُّ الحجى والدَّها
سودآء ان انصفتَ حبي لها لا تدعُني الا بيا عبدَها

والشطر الاخير ايداعٌ من قول الأوّل

لا تدعُني الا بيا عبدها فانهُ اشرفُ اسمآئي

وقال آخر

قالت لنا القهوة لما غلت　بمقال صبٍّ مولعٍ بالقيان
ما ادخلوني النارَ الا لكي　احظى بلثمٍ من ثغور الحسان

وقال غيرهُ

اقول لمن قد ضاق بالهمّ صدرهُ　واصبح من فرط الشواغل في فكرِ
عليك بشرب الصالحين فانهُ　شرابٌ طهورٌ نابهُ الذكر والقدرِ
وخلِّ ابن عبد الحق يفتي برأيهِ　وخذها بفتوى من ابي الحسن البكري

واما القات وهو الكفتة فهو ضربٌ من الشجر ياكلهُ اهل اليمن وهو اغلى من البن وتوجد شجرةٌ منهُ في حديقة الازبكية بالقاهرة اجتلبها المرحوم محمد علي باشا لما حارب الوهابية وقد رأيتها في الحديقة المذكورة سنة ١٣٠٥ لكنها ضعيفةٌ جدًّا. واخواننا اهل اليمن المجاورون في رواق اليمن بالازهر المنير يعرفونها وياكلون منها واهل مصر يضحكون منا ويقولون اهل اليمن مثل الغنم ياكلون الحشيش الاخضر . وهذه الشجرة لا توجد الا في اليمن وفي بلدة هرَر من بلاد الحبشة وهي تبعد عن جبوتي مسيرة ثلاثة ايام واهل هرَر ياكلونها مثل اهل اليمن . وقد وصلتُ الى هرَر سنة ١٣١٢ وهي بلدةٌ فيها ما تشتهي الاعين وتلذّ الانفس وفيها علماء كثيرون وكلها بساتين وشجرة القهوة تحمل اكثر من بن اليمن وقد ملكتها الحبشة من زمنٍ قريب . هذا واني قد سافرت في بر الترك وجلت في الاناطول والروملي ورحلت الى بر الشام وسافرت في ارجائهِ مدة ثمانية اشهر ولم اعثر على شجرة القات وكذلك في هذا الاقليم راس الرجاء الصالح واظن انهُ يوجد في اميركا لان شجرتهُ توافق شجرة البنّ

اما فعل القات في الانسان فيقرب من فعل الخمر غير انهُ لا يغير العقل وصفتهُ صفة خمر الجنة غير أن الذي لا يعرفهُ ولم يأكل منهُ يستبعد ما قيل في فضلهِ حتى يجربهُ فاذا اكل منهُ لا يستطيع تركهُ . وقد وقع خلافٌ في حلّهِ بين علمآء اليمن والحرمين في زمن العلامة ابن حجر ولهُ فيهِ فتاوى مشبعة . ولاهل اليمن في القات شعرٌ كثيرٌ اروي منهُ قول بعضهم

القات يجلب للارواح افراحا ويورث القلب تنويراً واصلاحا
وهو المعين على الاعمال اجمعها وهو المفيد لليل الهمّ إصباحا
فهاتهِ يا اخا سعدٍ أدِرْهُ لنا حتى نرى الكسل الممقوت قد راحا

وللسيد الجليل القطب حاتم الاهدل المخاوي قصيدةٌ فيهِ اولها

يا رَوح رُوحي وريحاني وراحاتي يا قدس قلبي ومحرابي وميقاتي
أدر غصون يواقيتٍ من القاتِ زبرجديات اوراقٍ وَرِيقاتِ
يجلو تناولهُ قلبي ورؤيتهُ طرفي ويحلو بهِ حالي واوقاتي

ومنها

كل المرادات فيهِ جُمّعت فلذا توجهت نحوهُ كل الاراداتِ
لين القدود وتلوين الخدود وتنعيم الورود ولذّات المذاقاتِ
خصائصٌ فيهِ يرويها مشايخنا الـ أثباتُ عن سادةٍ في الدين أثباتِ
اما ترى قلم الرحمن خطّ على الواح اغصانهِ رسم الجلالاتِ (١)
كلهُ لما شئت من دنيا وآخرةٍ وجلب نفعٍ ودفعٍ للبليّاتِ
فما اردتُ انتقالي في سما نظري في الكون الا جعلت القات مرقاتي

(١) يزعم اهل اليمن ان اسم الله مكتوب على ورقهِ والله اعلم

وهي قصيدة طويلة اكتفي منها بهذا القدر . وفي اليمن رسائل وكتب في القات والقهوة ما طُبعت قط ولو كنت موجوداً في الوطن لخدمتكم بشيء منها ولكن « واين من المشتاق عنقآء مُغربُ » يسَّرنا الله لليُسرَى وختم لنا بخير ولا حول ولا قوة الا بالله

أكلة التراب

جآء في احدى المجلات الفرنسوية نقلاً عن احد مكاتبيها ان اهل التنكين والصين مولعون باكل صنفٍ من التراب يعدونهُ من فاخر المآكل ويتخذونهُ بمنزلة الحلوى والفاكهة وهو شائعٌ عندهم في المنازل والاسواق يصنعونهُ على هيئاتٍ شتى من الاقراص والرقاق ونحوها . قال وهو ترابٌ لزج من الصلصال الحديدي محمرّ اللون فيهِ طعمٌ حرّيف يحذي اللسان تخالطهُ آثارٌ من بقايا المواد الآليّة والاملاح النشادرية على حدّ سائر الاتربة الصلصالية مما اثبتهُ بعضهم بالفحص الكيماوي

على ان هذا التراب ليس فيهِ شيءٌ من الخواص المغذّية ولكنهم يتعللون بهِ من قبيل ولوع بعض الناس بامتصاص المعقودات السكّرية ومضغ التنبول [1] والتبغ وغير ذلك مما هو شائعٌ بين كثير من الناس

وجآء في روايات بعض السياح ذكر اناسٍ غير اولئك ياكلون التراب

---

(١) هو نبات لهُ ورق كاصغر ما يكون من ورق الاترج طعمهُ طعم القرنفل وريحهُ طيبة اذا مُضغ طيّب النكهة وشهّى الطعام واحدث في النفس طرباً واريحية واهل الهند يستعملونهُ بدلاً من الخمر وياخذونهُ بعد اطعمتهم . اه محصلاً عن مفردات ابن البيطار

منهم طائفةٌ بالاورينوك العليا يقال لهم الاوتوماك ومنهم في غينيا والمكسيك والبيرو وكاليدونيا وغيرها . ويُذكر عن اهل بولونيا ونروج انهم كانوا في ازمنة القحط ياكلون التراب النقاعي المعروف عندهم باسم الدقيق الجبلي او الدقيق المتحجر يشغلون بهِ مِعَدهم وان لم يفدهم غذآء . على انهُ قد رؤي من الناس من ياكل التراب لغير ضرورةٍ ولا لذة ولكن لدآء يُعرَف بدآء الوَحَم بهِ يفسد الذوق ويميل صاحبهُ الى اكل التراب فيحدث لهُ عن ذلك تمددٌ عظيم في الصفاق ويتهدل بطنهُ ويقبح منظرهُ وهذا الدآء يكثر في اميركا الهندية

وهناك اصنافٌ من التراب تتخذ علاجاً في بعض الامراض كالصنف المعروف بتراب ارمينيا وقد كان لهذا التراب قديماً شهرةٌ عظيمة في باب الصيدلة ثم اجتزأوا عنهُ بما يسمونهُ تراب فرنسا وهو ترابٌ احمر اللون كانوا يحببونهُ وينسبون اليهِ من الخصائص التقوية والقبض والامتصاص ودرء السموم . وقد امتحنوا آخراً صنع اقراصٍ من التراب المعروف بالطرابلسي لمعالجة ضعف الهضم وتنقية الامعآء ويطلقون على هذه الاقراص خبز الرمل . والظاهر انهُ لا غرابة في هذا العلاج الأخير لما يُرَى من مثلهِ في الدجاج وغيرها من انواع الطير فانها تستعين على هضم طعامها بالحصى لتقوم في معدها مقام الاضراس الماضغة ولأن هذا التراب يتخذ من ضربٍ من الصوّان النقاعي المتناهي في الدقة وهو يُستعمل عادةً للجلآء فاذا مرّ في المعدة جلاها فكان لها بمنزلة الغسل الذي شاع استعمالهُ في هذه الايام . انتهى تحصيلاً

مكتبة الاسكندرية

كتب الينا بعض قرآء مجلتنا يقول انهُ لم يرَ فيما كتبناهُ عن مدرسة الاسكندرية ذكراً لما يقال عن احراق مكتبتها بامر الامام عمر لا اثباتاً ولا نفياً وان الذي يترجح بناءً على ما رويناهُ من امر تلك المكتبة ان الخبر لا صحة لهُ لان الجانب الاكبر منها احرق في زمن يوليوس قيصر عند احراقهِ لاسطولهِ وما بقي منها في هيكل سرابيس نُهب قبل الفتح الاسلامي بمدة ٢٥٠ سنة فلم يبقَ منها شيء الى زمن عمر

قلنا انا لم نتعرض لذكر هذه المسئلة لغموض امرها وخفاء دليلها وكثرة الخلاف فيها بين المؤرخين . على ان ما ذكرهُ حضرة المكاتب لا ريب فيهِ فان الكتب التي جمعها البطالسة ذهبت كلها في الحادثتين المذكورتين ولم يبقَ شيءٌ منها لا في المدرسة ولا في الهيكل . لكن ذكرنا هناك انهُ بعد احراق المكتبة الكبرى على يد يوليوس قيصر نقل مرقس انطونيوس الكتب التي وجدها في مكتبة برغاما الى الاسكندرية وهي تبلغ نحواً من ٢٠٠ الف مجلد فاتُّخذت عوضاً من الكتب الهالكة . والظاهر ان المدرسة لم تحترق عند احراق المكتبة لان التدريس بقي متتابعاً فيها الى اواخر القرن الرابع للميلاد فلا بد ان يكون موضع المكتبة قد رُمّم بعد الحريق والاقرب على هذا ان تكون الكتب المذكورة قد جُعلت فيهِ في موضع تلك وحينئذٍ فان صح ما قيل عن عمر فيكون ما احرقهُ هو هذه البقية . على ان من المؤرخين من ذكر ان كتب برغاما وُضعت في هيكل سرابيس لا في المدرسة كما نقلهُ

جيرَند في مؤلفٍ لهُ كتبهُ سنة ١٨٤٠ فتكون قد نُهبت فيما نُهب من الهيكل المذكور والله اعلم

على ان اول مؤرخ ذكر احراق المكتبة بامر عمر هو عبد اللطيف البغدادي الطبيب المتوفى سنة ١٢٣١ م اي بعد فتح الاسكندرية بما يقرب من ست مئة سنة وذكر هذه الحادثة بعدهُ ابو الفرج الملَطيّ اسقف حلب المتوفى سنة ١٢٨٦ ومحصل ما رواهُ ان يحيى النحوي من اهل الاسكندرية كان لهُ اتصالٌ بعمرو بن العاص وكان عمرٌو يجلّهُ لعلمهِ فقال لهُ يوماً انكم قد استوليتم على كل ما في الاسكندرية واستأثرتم بجميع اموالها وذخائرها ولكن ثمَّ اشيآء ليست من حاجتكم فهل تدَعونها لنا قال وما تلك الاشيآء قال كتب الفلسفة التي في خزائن الملوك فقال ليس لي ان افعل الا بعد استئذان امير المؤمنين عمر بن الخطاب وكتب الى عمر في ذلك فكتب اليهِ عمر يقول اما الكتب التي استنزلت رأيي فيها فان كانت موافقةً لما في كتاب الله ففي كتاب الله غنًى عنها وان كانت مخالفةً لهُ فلا حاجة لنا بها فأتلفوها فوزعها عمرو بن العاص على حمامات الاسكندرية فلبثت توقد منها مدة ستة اشهر

ومما يجدر بالذكر هنا ان ما رواهُ ابو الفرج في احراق مكتبة الاسكندرية يشبه ما رواهُ ابن خلدون في احراق مكتبة فارس على ما نقلناهُ في احد اجزآء السنة الماضية قال لما فُتحت ارض فارس وجدوا فيها كتباً كثيرة فكتب سعد بن ابي وقاص الى عمر بن الخطاب يستأذنهُ في شأنها وتنفيلها للمسلمين فكتب اليهِ عمر أن اطرحوها في المآء فان يكن ما فيها هدًى فقد هدانا الله باهدى منهُ وان يكن ضلالاً فقد كفاناهُ الله فطرحوها

في المآء او في النار . اه . وقد وهم بعض مؤرخي الافرنج [١] فزعم ان رواية ابي الفرج في مكتبة الاسكندرية منقولة عن رواية ابن خلدون فيما ذكرهُ عن مكتبة فارس غير انهُ بدَّل بلاد فارس بالاسكندرية وسعد بن ابي وقاص بعمرو بن العاص قال وذلك ان ابا الفرج كان في القرن الثالث عشر وابن خلدون في القرن الثامن فهو متأخر عن ابن خلدون بنحو ٦٠٠ سنة . وقد اختلط على هذا المؤرخ التأريخ الهجري بالتأريخ الميلادي فان ابن خلدون كان في القرن الثامن للهجرة لا للميلاد وكانت وفاتهُ سنة ١٤٠٦ للميلاد اي بعد وفاة ابي الفرج بمدة ٢٢٠ سنة وحينئذٍ فان كانت احدى الروايتين منقولةً عن الاخرى فأحر بالامر ان يكون على العكس اي ان تكون رواية ابن خلدون منقولةً عن رواية ابي الفرج ولكن ذلك مستبعدٌ جدًّا . على ان تشابه الروايتين لا يمنع ان تكونا كلتاهما واقعيتين لان من امر باحراق المكتبة الواحدة لسبب اوجب ذلك عندهُ لا يبعد ان يأمر باحراق الاخرى للسبب عينهِ . ولكن اعظم حجةٍ تذكر هنا ان هذه الحادثة مع جسامتها وشهرتها لم يذكرها احدٌ من المؤرخين الذين سبقوا عبد اللطيف البغدادي ومنهم سعيد بن البطريق وهو احد مشاهير مؤرخي العرب وكانت وفاتهُ سنة ٩٤٠ للميلاد اي قبل عبد اللطيف البغدادي بنحو ٣٠٠ سنة وهو مولود مصر وفيها قضى حياتهُ كلها الا ان يكون قد سكت عن هذه الحادثة لامرٍ ما والله اعلم

---

(١) Ludovic Lalanne

القوى العاقلة في الحيوان

لحضرة الكاتب الفاضل خليل بك سعد

يعلم قرآء الضيآء الوضآء اني نشرت منذ بضعة اسابيع مقالةً في القوى العاقلة في الحيوان بينت فيها ان المبدأ العقلي في الانسان والعجماوات واحد فتعرض لانتقادها حضرة الاب لويس شيخو احد المنتمين الى الرهبانية اليسوعية الآخذين على انفسهم القيام بنصرة الادب وتهذيب طلبة العلم في مدارسهم وتقويم اود النفوس بارشادهم ومواعظهم ٠ ولعلمي بما عند غالب هذه الطغمة الفاضلة من التأدب ولا سيما في فن المناظرة لم ابتئس من الدخول مع حضرة الاب في هذه المناقشة يقيناً مني بانهُ لا يتعدى حدودها الى ما أُلف عند الكثيرين منا من تلطيخ وجه الادب بالفاظ المهاترة والخروج الى ما لا يليق بمن اخذ على نفسهِ صيانة الآداب العمومية ولذا سررت بانتدابهِ للخوض معي في هذا المجال لاعتقادي بان مناقشتنا ستكون طبقاً لما ذكرتهُ هناك بقولي « وحبذا كل انتقادٍ مصدرهُ الاخلاص في تمحيص الحقائق ومؤداهُ الضالة المنشودة لا الثلب والتشفي بالطعن والتقريع كما هي عادة السواد الاعظم من كتابنا المنتقدين » ٠ وقد افتتحت جوابي لحضرتهِ بالثنآء على الرهبانية المشار اليها بما تستحقهُ من المدح والاعتراف لها بالفضل وظننت بعد ذلك اني قد تمنعت في حصن الكرامة واصبحت بمأمن مما لعلهُ يسوق اليهِ طبع المناظر او يدفع اليهِ عجز الحجة من البذآءة والتطاول وكنت متشوقاً الى اطالة المناظرة في هذا البحث جلآء للحقيقة حتى صدر العدد الاخير من مجلة المشرق فاذا بحضرة الاب كما يقول بديع الزمان قد سقاني

الدُرديّ من اول دنّهِ وقابلني من اللفظ الخارج عن خطة الادب بما لم يكن صدورهُ من قلم هذا الفاضل اشد استغراباً عندي من صدورهِ من تلك المطبعة ودروجهِ الى عالم القرآء من بين كتب الدين واسفار الادب بل من بين اظهرُ قومٍ قد اشتهروا بالصلاح والورع والنزاهة والكمال. وانا لا اشك ان رؤسآءهُ لو اطلعوا على ما خطهُ بتلك اليمين الطاهرة ولم يحجب بينهم وبين كلامهِ عجمة اللغة لقيدوا قلمهُ عن الجري بما يشوّه كرامتهم ويطلق الالسنة فيهم بما يسوءنا سماعهُ ولا يليق بما اشتهروا بهِ من النزاهة والفضل

وبما ان قلمي لم يعتد تدوين ما يلائم طباع هذا المهذب ولست ممن يرضى لنفسهِ الخوض في هذه الحمأة وان رضيها لنفسهِ ودعاني اليها فاني اترفع عن مناظرتهِ ضناً بآدابي ان تبتذل في عيون القرآء وصيانةً لقلمي من التلطخ باوضار البذآءة ومتى قُيّض لي من يعرف قيمة المباحث العلمية ويلتزم دائرة الادب والنزاهة لم اتوقف عن بسط ما عندي من البينات على تأييد ما ذهبت اليهِ والسلام

***

بعد كتابة ما تقدم وقفت على ردّ لحضرة الاب الفاضل الخوري قسطنطين الباشا (ب م) لمحت من خلالهِ حنكةً في العلم وتأدباً في القول فوددت لو ان الاخير في الردّ كان الاول في المناظرة كما هو اول في الادب والفضل . واني وان كنت قد اوصدت باب المناظرة في وجه من لا يفقه معناها فاني افتحهُ بيد الشكر لطارقٍ شعارهُ الادب وضالتهُ الحقيقة وموعدنا في ذلك الجزء الآتي ان شآء الله

مطارحات

وردتنا المنظومات الآتية جوابًا على اقتراحنا في الجزء الاول من هذه السنة (صفحة ١٩) فاثبتناها بحسب تاريخ ورودها

شكوتُ لصاحبيَّ جماح دهر بلغتُ بكبحهِ ما ابتغيهِ
فقالا سوف نكتب كل هذا حديثًا بعد موتك نقتفيهِ
فصحت لفرحتي بخلود ذكري «الا موتٌ يباع فاشتريهِ »

مصر احمد سعيد البغدادي
ناظر مدرسة السعادة الاسلامية

حبيبي سوف يملأُ بعد موتي بترجمتي العجيبة كل طرسِ
لذلك صرت استحلي المنايا فيا شوقي الى ظلمات رمسي

***

- يا حبيبي اذا توفيتَ ارّختُ م حياةً اسعدتَ فيها حياتي
- أرّخِ الآن لا اظنك تحيا يا متين الوداد بعد وفاتي

القرشية احمد الكاشف

اتوق الى المنية يا حبيبي وليس يهمني زهو الحياةِ
اذا حاكت يمينك ثوب عمري لقيتُ بلبسهِ عدم المماتِ

رومية برنردوس غصن
من تلامذة مدرسة اليونان

قيل لي يا حبيب انك تبغي بعدموتي احيآء خامل ذكري
فتهللتُ بهجةً ثم ناديتُ م اشتياقاً أللهُ يقصف عمري

***

- انني يا مناي من بعد طول ال عمر ابغي لكِ الخلود بشعري
- حبذا لو فعلتَ ذا اليوم حتى لا تشهّي اليَّ ظلمة قبري

بيروت جبران النحاس

فوائد

تقديد الازهار - اعتاد المتعاطون لهذا الفن اللطيف ان يجعلوا الزهرة وحدها او بورقها بين صحائف كتاب و يضغطوا عليها منعاً لتجعدها عند الجفاف وبعد ذلك يأخذونها ويلصقونها على قطعة من الورق فتشبه الزهر المصوَّر بالالوان. ولكن هذا يُضيع من شكل الزهر ويذهب بهيئتهِ الطبيعية ولذلك ارتأى بعضهم لحفظ الازهار على شكلها الطبيعي ان يؤخذ اناء في اسفلهِ شيء من الرمل و يُغرز فيهِ ساق الزهرة بورقها ثم يُذرّ الرمل عليها شيئاً فشيئاً حتى تتغطى باسرها وتُترك كذلك الى ان تجف وتيبس وهي على تلك الحالة ثم يفرّغ الرمل عنها فتكون على نفس الهيئة التي كانت عليها وهي حيّة

شمع صناعي - وصف احد الكيماويين الفرنسويين لعمل الشمع الصناعي المزيج الآتي

يؤخذ ٥ اجزآء من الجلاتين النقي الذي لا لون لهُ وتذاب في ٢٠ جزءًا

من المآء ويضاف اليها ٢٥ جزءًا من الغليسرين وتُحمى الى ان يتم امتزاجها ويصفو لونها . ثم يضاف اليها جزآن من التنين مذابان باحمآئهما في ١٠ اجزآء من الغليسرين فيتعكر المزيج كلهُ ولكنهُ يعود الى صفآئهِ باغلآئهِ قليلاً ثم يترك على النار يغلي الى ان يتطاير منهُ المآء وحينئذٍ يُصَبّ في قوالب زجاجية فاذا أُخرج كان شمعاً صافياً كالمآء يحترق ببطء ولا رائحة لهُ

تبييض الفولاذ (الصلب) المزرق ـ اذا ازرقّ الفولاذ على اثر دخوله النار يبيَّض بقليلٍ من الحامض المرياتيك المركّز مسحاً بشعرية (فرشاة) او قطعةٍ من الخشب . واما اذا كان قِطعاً دقيقة فتُغمس في السائل رأساً وبعد زوال الزُرقة تغمس القطع في الكحل (السبيرتو) او البنزين ثم في الزيت لمنع الصدأ

ولذلك صفةٌ اخرى وهي ان تُغمَس قطعةٌ من خشب في الحامض الكبريتيك ثم يُفرَك بها الفولاذ المزرقّ فركاً لطيفاً حتى يبيضّ وينظف بعد ذلك بقطعةٍ من الجلد . وبهذه الطريقة يمكن ان يُرسَم بالبياض على اللون الازرق ما يراد من كتابةٍ او نقش او غير ذلك

لحام للحديد والفولاذ (الصلب) مع احمآئهما الى درجة الحمرة فقط ـ يؤخذ ٢٥ جزءًا من دُقاق البورق و ٢٥ من برادة الفولاذ و ٧ من ملح الامونياك و ٢٢ من صمغ الكوباهي وتُطبخ هذه الاجزآء كلها على حرارةٍ لطيفة في انآءٍ من حديد حتى تتصلب ثم تُسحق وتحفظ جافّةً الى حين الاستعمال

اسئلة واجوبتها

الاسكندرية ـ اني من المولعين بمطالعة الكتب الادبية والتاريخية وقد جمعت عندي طائفةً كبيرة منها في جملتها كتاب مجاني الادب الذي جمعهُ وصححهُ حضرة الأب لويس شيخو « مدرّس البيان في كلية القديس يوسف في بيروت » والحقّ يقال انهُ كتابٌ قد جمع فاوعى لان بين يدي حضرة الأب مكتبةً واسعة انتقى منها كل غريب لكن قلما كنت أُطالع فيهِ وانا اشعر بلذة ما اشتمل عليهِ من الانفاس الا اقف عند ابياتٍ من الشعر او فقَرٍ من النثر قد تنكرت تحت ثوب من التصحيف والتحريف واخذتها عوامل البتر والصلم حتى يضيع معناها وتذهب لذتها . وقد رايت في الجزء الاخير من مجلتكم المنيرة تصحيحاً لبعض ابيات من مثل ما ذكرت فجئت اقرع باب كرمكم راجياً ان تظهروا لي صحة ما انا ذاكرهُ لكم من الابيات والفقَر ولكم الفضل والثواب

فمن ذلك ما جآء في الجزء الثالث صفحة ٢٦١ في الكلام على كسوف الشمس نقلاً عن القزويني وهو قولهُ « وسببهُ كون القمر حائلاً بين الشمس وبين ابصارنا لان جرم القمر « كمُدٍّ » فيحجب ما وراءهُ » فلم افهم ما المراد بتشبيه جرم القمر بالمدّ ولا ما مدخل هذا التشبيه هنا

وفي صفحة ٢٦٤ في الكلام عن المجرّة نقلاً عن القزويني ايضاً قال « وهي البياض الذي يُرى في السمآء يقال لهُ « سُرُج السمآء » ووجدت هذه اللفظة مكررة هكذا في موضعين آخرين من الكتاب وقد بحثت في

كتب اللغة فلم اجد « السُرُج » واردةً بهذا المعنى ولم يتبين لي وجه المناسبة في تسمية المجرة بهذا اللفظ

ووقفت في الجزء الرابع منهُ صفحة ٣٢ على رواية هذا البيت

كل نفسٍ ستقاسي كُرَب الموت فللموت كرَب

وقد فُرّقت كلماتُ الشطر الاول حتى صارت بحيث لو قست هذا الشطر بعودٍ ونحوهِ لوجدتهُ بطول الشطر الثاني اي حتى صار الشطران بطولٍ واحد على الورق ولكني عند ما وزنت هذا البيت في كفة العروض وجدت الاول ناقصاً عن الثاني نحو الثلث فما كان اصل هذا الشطر

وفي الجزء الخامس صفحة ١٢٥ روى الابيات الآتية لابن التعاويذي

من كل رحب المعى اجوفهِ ناريّ الحشا لا يمسهُ الشبعُ

فاستأنفوا لي رسماً اعود بهِ على ضنك معاشي بهِ فيتسعُ

حاشا الرسمَ الكريمَ ينسخ من نسخ دواوينكم فينقطعُ

وهذه الابيات كلها مختلة الوزن الى ما لا يُهتدَى لتصحيحهِ ولا يكاد يُعرَف من اي بحرٍ هي

وفي صفحة ١٦٥ عن ابن الاثير في وصف فرس « وقد أغتدي عليهِ والطير في وكناتها فلا يفوتني الأَجِدالُ واذا اطلقتهُ لصيد الوحش رأيتني على منجردٍ قيد الاوائل هيكل » فما مدخل « الجدال » على ظهر الفرس وما معنى قولهِ « قيد الاوائل »

وفي صفحة ١٨٣ روى هذين البيتين

أُسدٌ كانما سكونها متحرّكٌ في النفس لو وجدت هناك مثيرا

وكأنما أللازوود مخرّمٌ بالخطّ في ورق السماء سطورا

والشطر الاول من هذين البيتين فاسد الوزن الا ان تصحيحهُ سهلٌ بان يقال عوض كانما «كأنّ» فيستقيم لكن الذي اشكل عليَّ قطع الهمزة من قولهِ «أللازورد» في البيت الثاني ولو وصلناها اختلّ الوزن فما صحة هذا الشطر

احد المشتركين

الجواب ـ اما المسئلة الاولى فمراد القزويني ان يقول لان جرم القمر «كمِدٌ» بفتح الكاف وكسر الميم وتخفيف الدال صفة من الكُمدة يعني بهِ خلاف الشفّاف ولذلك «يحجب ما وراءهُ»

واما تسمية المجرّة «بسُرُج السماء» فقد تصحفت هذه الكلمة على المصحح وصوابها «شَرَج» بشين معجمة مفتوحة مع فتح الراء

واما شطر البيت الناقص فاصل الرواية فيهِ «كل نفسٍ ستقاسي مرةً» وبهذا يتأتى لكم التوفيق بين القياس بالعود والوزن بميزان العروض

واما رواية الابيات العينية لابن التعاويذي فينبغي ان تكون هكذا

من كل رحب المعى وأجوفَ نا ريّ الحشا لا يمسُّهُ الشبعُ
فاستأنفوا لي رسماً اعود على ضنك معاشي بهِ فيتسعُ
حاشا لِرَسم الكريم يُنسخ في نسخ دواوينكم فينقطعُ

وحينئذٍ فتكون الابيات من بحر المنسرح

واما عبارة ابن الاثير في صفة الفرس فصحتها وقد أغتدي عليهِ .. فلا يفوتني «الأجدَل» .. وعلى منجردٍ قيد «الاوابد» هيكل . والأجدل الصقر يريد وصف فرسهِ بسرعة الجري حتى لو عمد بهِ الى صيد الصقر لم

يفتهُ . وقولهُ قيد الاوابد يريد بالاوابد الوحوش اي انهُ يدركها فيكون لها بمنزلة القيد . والفقرتان حلٌّ لبيت امرئ القيس من معلقتهِ المشهورة

وقد أغتدي والطير في وكناتها بمنجردٍ قيد الاوابد هيكل

واما المسئلة الاخيرة فمن غرائب المسائل بل من طرائف النكات لان الشاعر اراد « وكأنَّ مآءَ اللازورد » فوصل الناسخ لفظة مآء بكأنَّ فصارت « كأنما » ولما نقص الوزن بسقوط همزة مآء قطع المصحح همزة أل من « اللازورد » فعاد الوزن واللفظ جميعاً وحينئذٍ فالبيت غلطٌ وصواب في آنٍ واحد اي غلطٌ في عين القارئ وصوابٌ في اذن السامع وهو لغزٌ لطيف . وقد اذكرتنا هذه المسئلة مسئلةً اتفقت لنا في كتابٍ كُلِّفنا تصحيحهُ وكأن المؤلف كان يملي على كاتبٍ بين يديهِ فاملى عليهِ قولهُ « يدَّعون كمال العلم » فكتب « كما » ثم كتب « للعلم » فجآءَت العبارة « يدَّعون كما للعلم » واللفظ على كلا الهجآءين واحد كما ترى الا ان المسئلة الاولى تزيد ظرفاً على هذه بما ذُكر من حديث قطع الهمزة فسبحان موزع الذكآء

آثار ادبيّة

كتاب تهذيب الاخلاق — هو مؤلفٌ جليل وضعهُ ابن مسكويه العلامة المشهور من فلاسفة القرن الرابع للهجرة تكلم فيهِ على تعريف النفس ووصف قواها وملكاتها وافعالها وما لها من الاخلاق والاهوآء وما يتصل بذلك من وصف الفضائل والآداب المتنوعة وما ينبغي ان يلتزم منها في احوال التصرف والكسب والمعاشرة والمعاملة وغير ذلك مما احاط باحوال

الانسان الحسية والمعنوية وجمع كل ما يبلّغ الى كمال النفس وطهارة الاخلاق وصلاح الافعال والارتياض على الخير ويُتوصل بهِ الى سعادة الفرد في خاصةً نفسهِ والامة في مجموعها . وكل ذلك بكلامٍ فلسفيٍّ دلّ بهِ على بُعد غورهِ وانفساح نظرهِ واحاطتهِ باحوال الكيان الانساني من الجوارح البدنية والقوى النفسية وما يتعلق بكلٍّ منهما من الطبائع والاهوآء

وقد عني بطبع هذا الكتاب وتصحيحهِ حضرة الاصولي الفاضل عبد الحليم افندي صالح رغبةً في نشر فوائدهِ بعد ان بوّبهُ وصدّرهُ بمقدمةٍ انيقة اردفها بترجمة المؤلف عن اوثق الرواة . والكتاب حسن الطبع جيد الورق يشتمل على ما يقرب من ٢٠٠ صفحة متوسطة وثمنهُ ١٥ غرشاً اميرياً . فنثني على حضرة الافندي المشار اليهِ ثناءً طيباً ونتمنى لهُ تحقيق ما يرجو من تعميم نفع هذا الكتاب ونسأل لمؤلفهِ الرحمة ولهُ وللطابع جزيل الثواب

تاريخ آداب اللغة العربية ـ أُهدي لنا الجزء الاول من هذا الكتاب وهو من تأليف حضرة الاديب محمد بك دياب المفتش الثاني للغة العربية بنظارة المعارف المصرية كسرهُ على اربعة ابواب الاول في تاريخ اللغة والثاني في تاريخ الكتابة والثالث في تاريخ الشعر والرابع في تاريخ العروض . وقد اودع كلاً من هذه الابواب ما تحسن فائدتهُ وتروق مطالعتهُ وسيردفهُ بالجزء الثاني يبدأهُ بتاريخ النحو والصرف والاشتقاق فنثني على المؤلف بما هو اهلهُ ونتمنى لكتابهِ هذا مزيد الانتشار

فكاهات

رواية

الانتقام [1]

كانت بلاد النمسا ايالاتٍ يتولى عليها الحكام بامر امبراطورها ولكل ايالةٍ محاكم خصوصية مرجعها الى العرش الامبراطوري في ڤينا . وكان في احدى الايالات الجنوبية المسماة كريتيا فتًى في الثامنة عشرة من عمرهِ يُدعى ثيودور كان قد توفي والدهُ وربي في بيت عمهِ وكان عمهُ قسيساً عالماً فاعتنى بتهذيبهِ وتعليمهِ فما بلغ السن المذكورة حتى احرز حظاً صالحاً من العلم ونشأ على الآداب الحسنة . واتفق يوماً ان ثيودور خرج الى غابةٍ بقرب بلدتهِ للتنزه وبيدهِ كتاب يطالعهُ فبينا هو يتمشى في جوانب الغابة استدعى انتباههُ صوت فتاةٍ تستغيث فاسرع الى ناحية الصوت وقبل ان يدرك الطريق رأى عربةً يجرها فرسٌ قد جمح وجعل ينهب الارض ولم يكن في العربة سوى فتاةٍ تبلغ السابعة عشرة من سنيها لم تقوَ يداها الضعيفتان على كبح جماح الفرس الشارد فاستسلمت للقضآء وكان صوت دواليب العربة يزيد الفرس نفوراً فيشتد ركضهُ . ولم يكن بعد ذلك الا لحظةٌ حتى صارت العربة بقرب ثيودور ورأى الفتاة فيها على تلك الحال فلم يسعهُ الا ان هجم

(١) مغربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

لتخليص تلك الفتاة المسكينة ولم يكن معهُ شيء يستطيع بهِ رد جماح الفرس سوى عصاهُ فرفعها وضرب بها رأس الجواد بمنتهى قوتهِ فوقف للحال واسرع ثيودور فقطع عنانهُ وربطهُ بهِ الى شجرةٍ قريبة ثم انزل الفتاة وكانت قد أُغمي عليها فوضعها على الارض وجعل يتأمل في وجهها فرأى من بديع التكوين وجمال الطلعة وبهآئها ما سلب رشدهُ وخلب فؤادهُ ولبث كذلك حيناً وقد اذهلهُ ذلك المنظر عما يجب صنعهُ في تلك الساعة ٠ ثم انتبه فجأةً كمن افاق من نوم عميق وجعل يعدو في تلك الناحية حتى اصاب موضعاً فيهِ مآء فاغترف منهُ في طاسٍ كان معهُ وعاد الى الفتاة فرشهُ على وجهها ثم اخذ يفك ما على صدرها من الازرار ليفرج عنها وبينما هو يتأمل في ذلك البياض الناصع واللون الفضي فتحت الفتاة عينيها وقالت اين انا ٠ فقال لا تخافي ايتها السيدة فانتِ في سلام ٠ ولم تطل مدة مكثها على تلك الحالة حتى نهضت ولما علمت بما جرى جعلت تثني على ثيودور وتشكر احسانهُ لانقاذها من الموت ٠ وكان ثيودور كالمسحور بجمالها فلم يجب بكلمةٍ ثم جثا على ركبتيهِ امام تلك الفتاة واعترف لها بمحبتهِ وبعد ان جلسا حيناً يتحادثان وقد وقع من قلبها مثل موقعها من قلبهِ سأل عن اسمها فاخبرتهُ ان اسمها كاترين وان اباها من اشراف البلاد ٠ ثم اخذا يتجاذبان حديث الحب ولما وثق بميلها اليهِ عرّض لها بطلب الاقتران فسألتهُ عن اسرتهِ وشغلهِ ومقامهِ فاعلمها انهُ من اسرةٍ كريمة تعرف بآل كرتور قال واما شغلي ومقامي فاني لم اختم دروسي الاّ من بضعة اسابيع ولكني مع ما حصلتهُ من العلم وما اعلم في نفسي من علوّ الهمة والاقدام على الامور اؤمل مستقبلاً حسناً ٠ وبعد

حديثٍ طويل اجلى اجتماعهما عن تصميم ثيودور على دخول الجندية آملاً ان ينال ببسالتهِ واقدامهِ مقاماً سامياً وشرفاً رفيعاً يؤهلهُ للحصول على كاترين ووعدتهُ هي ان لا تميل الى سواهُ وانها ستحافظ على محبتهِ وولآئهِ وتنتظرهُ ما شآء الله الى ان يبلغ المقام المطلوب . وبعد ذلك نهضا فاركب ثيودور كاترين في عربتها وركب الى جانبها حتى اوصلها الى البيت خوفاً من تكرُّر ما حدث سابقاً ثم ودعها وسار وهي تشير اليهِ بمنديلها وترافقهُ بدعآئها

وعاد ثيودور الى عمهِ فاعلمهُ بتصميمهِ على دخول الجندية وطلب اليهِ ان يكلم القائد كروزكي في امرهِ فسرَّ عمهُ لهذا الامر ووعدهُ خيراً وكان ذلك في اثنآء المعارك العظيمة التي كانت قائمة بين دولة النمسا والدولة العثمانية . ولما كان الصباح التالي اخذ كرتور ابن اخيهِ ثيودور وتوجها الى مقام القائد كروزكي فلما وقف ذاك على رغبة الفتى اظهر سرورهُ وقبل حالاً انضمامهُ الى فرقتهِ . ولم يأتِ على ثيودور ايامٌ كثيرة حتى عُيّن في الجندية فارتدى الثوب العسكري وجعل يتمرّن مع العساكر واحبهُ القائد كروزكي كثيراً فكان يعاملهُ كولدهِ ويمهد لهُ سبل التقدم والنجاح . وكان الحب المتبادَل بين ثيودور وكاترين في ازدياد دائم وكانت تأتي كل يوم الى محل عرض الجنود فتمتع نظرها بمرأى ثيودور وهو يتخطر كالغزال ويراها هو فينتعش فؤادهُ

وكان حاكم كريتيا ظالماً عاتياً سفاحاً قد اجتمعت فيهِ اقبح الصفات واردأ الخصال ولم يكن عليهِ آمرٌ في ايالتهِ فاستعمل ما شآء من المظالم والقسوة وكان اذا مرَّ في شارع اوجب على القوم جميعاً ان يخرجوا من محلاتهم

الى الطريق ويقفوا لاستقبالهِ ورؤوسهم محنيّة ‌. وحضر يوماً الى محل تمرين العساكر فرأى كاترين في عربتها فسأل عنها فقيل لهُ انها مخطوبة لجنديٍ يدعى ثيودور . فاستآء من مجرد ذكر الامر امامهُ وقال هل بلغ من هؤلآء الجنود المحتقرين ان يفتكروا بامر الحب ايضاً لا شك ان ذلك من نقص تدريب القائد كروزكي فينبغي ان انبههُ الى مثل هذا الامر الذي لا اسمح بحدوثهِ . ثم اسرع بجوادهِ ليبلغ الامر الى القائد وبينما هو سائرٌ بين الصفوف رأى جندياً لم يحنِ رأسهُ اجلالاً لهُ فسأل عنهُ فاخبروهُ ان هذا ثيودور خطيب الفتاة . فهاج غيظهُ الكامن وبلغت منهُ الحدة مبلغها فصاح بهِ احنِ رأسك ايها الغلام امام مولاك واحذر ان ترفع نظرك اليَّ بعد الآن . ولم يكن ثيودور معتاداً سماع مثل ذلك فهاج الدم في رأسهِ والقى نظراً حاداً في وجه الحاكم ولم يجبهُ . فزاد ذلك في غيظ الحاكم فلكز جوادهُ حتى اقترب من ثيودور ثم رفع سوطهُ وضربهُ بهِ ثلاثاً قائلاً يظهر انك حديث الخدمة ايها الوغد فيجب ان ينالك شيءٌ من التربية . ولكنهُ ما كاد يلفظ الكلمات الاخيرة حتى رمى ثيودور بندقيتهُ من يديهِ ووثب الى الحاكم فاقتلعهُ من السرج باسرع من لمح البصر وضرب بهِ الارض . وللحال هجم الحرس فامسكوا ثيودور وانهضوا الحاكم فرجع الى بيتهِ وهو يرغي ويزبد واصدر حكماً عاجلاً بقتل ثيودور في الصباح الثاني

وبات ثيودور تلك الليلة في سجنهِ يفكر فيما حدث لهُ في يومهِ وقد ايقن بحلول الاجل وانهُ لا بد من قتلهِ في صباح الغد . وانهُ لكذلك واذا بباب سجنهِ قد فُتح ودخل عليهِ القائد كروزكي ثم قال لهُ اني اعزك يا

ثيودور كولدي واني لفي غاية الاسف على ما حصل اليوم وقد احضرني اليك الآن اني سمعت من احد اخصآء الحاكم انهُ ندم على حكمهِ العاجل وهو يود خلاصك ان كان في الامكان لانهُ هو كان البادئ باهانتك وعليهِ فانا اشير عليك ان تطلب مواجهتهُ فتجثو على اقدامهِ وتسألهُ العفو فلا يبخل عليك بهِ . فقال ثيودور أأتنازل لهذا الوحش الضاري وانا لست مجرماً كلاً فاني افضل ان يقطع حبل حياتي عاجلاً على ان اركب مثل هذا الذل . قال كروزكي ولكنك فتىً في اوائل العمر يا ثيودور وامامك حياةٌ باسمة ومستقبل سعيد أفلا يستحق ذلك تنازلك القليل للحاكم مهما كانت صفاتهُ . فجعل ثيودور يفكر في حبيبتهِ كاترين وفي موتهِ العاجل بعد ان كان قد وطد الامل على احراز ما يؤهلهُ للاقتران بها والسعادة بقربها فلم يملك عينيهِ من البكآء . ثم نظر الى قائدهِ فقال انك بكلامك تكسر قلبي وتضرب على اشدّ الاوتار تأثيراً فيَّ فاتوسل اليك ان لا تسهّل عليَّ هذا الامر فقد وطّنت نفسي على لقآء المنيَّة وهدم مستقبل حياتي دون الاذعان للتنازل الى هذا اللئيم فانهُ لن يراني جاثياً امامهُ وفيَّ من الحياة بقيَّة

ولما رأى القائد ان لا امل في اقناع ثيودور ودّعهُ معانقاً اياه والدموع تخنق كلماتهِ وخرج . وعاد ثيودور الى التفكر في امرهِ فغرق في بحر تأملاتهِ الى ما بعد منتصف الليل وحينئذٍ فُتح باب سجنهِ ثانيةً وكان الداخل في هذه المرة كاترين فوثب ثيودور لاستقبالها وقد اخذهُ اشد العجب من حضورها اليهِ في مثل تلك الساعة فاشارت اليهِ ان يصمت واخذت تقص عليهِ حديث مجيئها فقالت انني ذهبت الى بيت القائد كروزكي لاطلب منهُ جوازاً

يبيح لي المجيء اليك فقيل لي انهُ هنا فانتظرتهُ ريثما عاد وكان حزيناً جداً فلم يذق طعاماً ولم يواجه احداً من أسرتهِ واوصى الخدم ان لا يأذنوا لاحد في الدخول عليهِ. اما انا فالححت في طلب مقابلتهِ ولما علم اني انا خطيبتك اذن لي في ذلك وذكر لي ما دار بينكما من الحديث ثم اعطاني الجواز الذي بهِ تمكنت من الدخول اليك في سجنك . والآن وقد صممت على لقاء المنيَّة مفضلاً اياها على السقوط امام هذا الحاكم الجائر فليس لي ما اقولهُ في ذلك ولكن جئتك يا حبيبي ثيودور لأُسهل لك سبيل الفرار فهلمَّ بنا واخرج من سجنك واهرب في هذا الليل الدامس الى حيث تأمن هذا الوغد وجدَّ هناك في تحسين احوالك حتى اذا قرَّرت امر مستقبلك تستقدمني اليك فاوافيك ونقضي بقية ايامنا معاً . فكان ثيودور يسمعها بسرور ولكنهُ لم يلبث ان انتفض فجأةً وقال لا لا كيف اهرب واعرّض حياة البريء لتجرع كأس الموت مكاني فانني اذا فررت لا يتأخر الحاكم عن استدعاء السجان ومعاملتهِ بما كان معدًّا لي . قالت كاترين ولكني قد تداركت ذلك ورشوت السجان واقنعتهُ بالفرار معك الى ان تخرجا من البلدة فيذهب كلٌّ الى سبيلهِ. فتبسم ثيودور ثانيةً ثم قال ولكن ألا أُحسب جباناً اذا فررت من الموت . قالت ان الوقت اضيق من ان اجادلك في هذه الامور ولكن اسمع يا ثيودور انك قد وهبتني حياتك فلم يعد لك حق التصرف فيها وانا اريد ان تحافظ على هذه الحياة فاياك ان تعصيني واني قد جهزت لك كل شيء فهلمَّ بنا فالوقت ثمين . ثم وضعت في يدهِ كيساً من النقود وقالت خذ هذا فربما ساعدك في سفرك واذا خرجت من هنا ترى عند الباب الثاني جواداً فاركبهُ

وسر على بركات الله . فوقع ثيودور على عنق كاترين يقبلها ويودعها وهي تلحُّ عليهِ بالاسراع في الخروج حتى خرج فرأى السجان في انتظارهِ مع الجواد فركب الاثنان وسارا يخفيهما ستار الليل المدلهمّ . ولما خرجا من المدينة فصل السجان عنهُ وسار في طريقهِ وانطلق ثيودور بحصانهِ في وجه البر وهو لا يدري الى اين يذهب او ماذا يفعل

ولبث ثيودور يتردد مستخفياً في بعض قرى كريتيا وهو يتنسم اخبار الحاكم من حيث لا يُشعَر بهِ فبلغهُ يوماً انهُ طلبهُ في صباح اليوم الثاني من سجنهِ ولما علم بفرارهِ مع السجان بلغ منهُ الحنق ان صبّ كاس انتقامهِ على اسرة ثيودور فقتل عمهُ ونفى زوجة عمهِ وهدم بيتهُ الى اساسهِ ولم يكن ثيودور ينتظر مثل هذه القساوة البربرية فجعل يفكر في الانتقام من هذا الحاكم . وكان في تلك الاثناء ان ابتدأت المناوشات بين الجيوش التركية والنمساوية على الحدود الفاصلة بين المملكتين فعزم ثيودور ان ينضمّ الى الجيش التركي عسى ان تمكنهُ الفرص من الاخذ بثار عمهِ وشفآء حزازات صدرهِ فطفق يُجدّ السير ويصل ليلهُ بنهارهِ حتى بلغ الآستانة وهناك اجتهد حتى وُفق الى مواجهة وزير الحربية فاطلعهُ على بعض ما في نفسهِ وميلهِ الى الانتظام في سلك الجندية التركية ونال ثيودور حظوةً في عيني الوزير فقبلهُ في الجند وقلدهُ رتبة ضابط وفوض اليهِ قيادة فرقةٍ من عساكرهِ . وكان ذلك جل ما يتمنى ثيودور فطارت نفسهُ فرحاً وجعل يهتم في تدبير عساكرهِ وتدريبهم ورأى الوزير رغبتهُ واستقامتهُ فبعث بهِ مع الحملة السائرة الى حدود النمسا لمقابلة جيوشها وصدهم عن الدخول الى الحدود العثمانية . وكان ثيودور يسير

كمن يسير الى مأدبةٍ حتى بلغت الجيوش الحدود وانتشبت المعارك بين المملكتين على ما هو معلوم في التاريخ . اما ثيودور فكان يزجُّ بنفسهِ الى اشد مواقع القتال خطراً ولا ينفك في طليعة جنودهِ يشجعهم ويحثهم على الاقدام وكانت رغبتهُ في الانتقام من الحاكم من جهةٍ والسعي في سبيل الارتقاء من جهةٍ اخرى يزيدانهِ جرأةً وتفانياً في الحرب فلم يمرّ بجيشٍ الا اباده ُ ولا ببرجٍ الا غادره ُدكًّا ولا قريةٍ الا تركها رماداً . وكانت اشهر مواقعهِ في كريتيا حيث اشتبك القتال ورأى الحاكم في مؤخر العسكر يراقب القتال فشق ثيودور بجنودهِ صفوف الاعداء حتى بلغ الحاكم وتقابل الاثنان . ولما رأى الحاكم ثيودور عرفهُ فاستل سيفهُ وهجم عليهِ وهو يقول اليك يا خائن الوطن والدين . فاطبق ثيودور عليهِ ولم يمهلهُ ريثما استل الحسام حتى طعنهُ في صدرهِ فارداهُ قتيلاً فصاحت الجنود العثمانية بالتهليل والتكبير وولت جنود النمسا الادبار فتبعهم ثيودور برجالهِ مسافة خمسة اميال

وكانت تصل الى الآستانة التقارير اليومية عن اعمال الجنود وبلغ السدة الشاهانية افعال ثيودور فاحسنت اليهِ بالاوسمة السنية والجوائز الطائلة ولم يزل يتقدم ومنزلتهُ ترتفع في العيون مدة خمس سنوات متوالية حتى انقضت الحرب وقد نال لقب باشا واصبح لديهِ من المال والجاه ما ليس بعدهُ من مزيد

ولما خلا بالهُ واستقامت احوالهُ ارسل في طلب كاترين فوافتهُ مع والديها الى الاستانة فعُقد لهُ عليها وبعد ان اقام والداها عندهُ مدةً عادا الى بلادهما ولبث ثيودور بالاستانة محفوفاً بالاكرام والانعام وعاش مع زوجتهِ سعيداً مسروراً الى ان فرّق بينهما داعي الحِمام